

وحتى يأتي المحققون، وقد أقبلوا جميعًا بعد أن ارتفع الضحى، فأقاموا حول الجثة حينًا يسألون ويشرح الطبيب، ثم أقبلوا نحو القرية ونساء الدار مشرفات ينظرن إليهم، وهم يسعون إلى بيت العمدة ليشرّبوا القهوة، ويمضوا في التحقيق، ويصيبوا شيئًا من الطعام.

وأنا مشرفة أنظر مع الناظرات، ولكن ماذا؟ إني لأتراجع مسرعة وقد اضطرب قلبي اضطرابًا لا يكاد يستقر معه في صدري، وقد تكلفت جهدًا عظيمًا لأحبس صيحة كادت تنبعث من فمي، وهذه أُمي تجرّني إليها لا تقول شيئًا ولكنها تهبط معي فناء الدار، ثم تهدئني بعض الشيء، ثم تقول لي كالهامسة: إياك أن تظهري أو أن تدّعي هذا المكان فإنه والله إن رآك لم ينصرف حتى يستصحبك. ذلك أني كنت قد رأيت المأمور. لماذا أكذب نفسي! لقد هممت غير مرة أن أسعى إليه وأن أسأله عن خديجة، وأن ألح عليه في أن يستصحبني ليردني إلى تلك الحياة الناعمة وليحميني من هذا الظلام الذي كنت أدفع إليه على غير إرادة ولا رأي.

نعم! لقد هممت بهذا كله، ولقد كدت أفعل، ولكنني رأيت أُمي وما كانت تستصحب من بؤس قديم، ورأيت أختي وما كانت تستقبل من بؤس حديث، فأثرت شقاء هاتين الشقيتين على ما كنت أحب لنفسي من الخير، وبقيت معهما أنتظر ما تضمّر لهما الأيام.